

أزمة العالم الحديث عند عبد الواحد حي

The crisis of the modern world according to Abdel Wahed Yahya

خديجة لعطر¹¹ جامعة الأغواط (الجزائر)، Halim.ma@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022 /12/29

تاريخ القبول: 2022 /08/30

تاريخ الاستلام: 2022/08/15

ملخص:

تظهر أزمة العالم الحديث عند المفكر عبد الواحد يحي في القواعد والمبادئ يسير عليها، هذه المبادئ والقواعد التي تجردت من الاخلاق والمثل العليا والانسانية، وهي التي سوف تؤدي الى نهايته، ولهذا يري مفكرنا أن العالم الحديث يعيش أزمة اخلاق وقيم وطغيان الجانب المادي على الجانب الروحي.

الكلمات المفتاحية: أزمة العالم - الحديث - عبد الواحد يحي.

Summary :

The crisis of the modern world appears in the thinker Abdul Wahed Yahya in the rules and principles he follows. These principles and rules are stripped of morals, ideals and humanity, and they will lead to its end, and this is why our thinker sees that the modern world is experiencing a crisis of morals and values and the tyranny of the material side on the other. spiritual.

Keywords: world crisis - hadith - Abdul Wahed Yahya

المؤلف المرسل: خديجة لعطر، الإيميل: Halim.ma@yahoo.fr

1. المقدمة:

ذكر عبد الواحد يحي في ثنايا كتبه أن أزمة العالم الحديث هي أزمة المؤسسات و القواعد التي يقوم عليها هذا المجتمع ، فتكون مصدرا للخلل و الصعوبات التي تتسبب في معارضة متطلبات الفرد و المجتمع ، و بهذا ينشأ الصدام بين أفراد هذا المجتمع ليمتد أثره الى كامل المجتمعات البشرية الأخرى في محاولة لغرض الهيمنة و التبعية التامة ، قصد البحث عن فضاءات امتداد خارجي لإشباع الرغبة الجامحة ، و هذا ما أكده في كتابه "أزمة العالم المتحضر".

و هذا ما تمر به الحضارة الغربية الحديثة التي تدعي كما يقول صامويل هنتغتون أنها " الحضارة الوحيدة التي لها مصالح أساسية في كل حضارة أو منطقة أخرى و لها القدرة على التأثير على سياسة وأمن و اقتصاد كل حضارة ففي ظل هذا المقال سنتطرق الى التعرف على جذور أزمة الحضارة الغربية عند عبد الواحد الحي ، الفردانية في الفكر العربي ،العقل و تأثيره بالعلم الحديث .

2. المبحث الأول: جذور أزمة الحضارة الغربية عند عبد الواحد الحي عند "عبد الواحد عبد الحي"

يرى " عبد الواحد يحي " أن هذه الحضارة الغربية والازمة التي تمر بها سببها أنها اتخذت من صفتها المادية الخالصة مستندا لهيمنتها السياسية والاقتصادية على العالم بأكمله ، وهي لم تأخذ من صفة الحضارة غير قشورها المادية، لذا نجدها تجهز بالعداء لكل من يخالف توجيهاتها...¹ كما يفسر "عبد الواحد" معالم وأسباب الازمة التي يمر بها العالم الحديث في عدة أسباب

المطلب الأول: أسباب ونتائج الازمة الغربية

حددها عبد الواحد في سببين رئيسيين:

اول هذه الأسباب:

يظهر حينما تفقد المبادئ و القيم التي تأخذ منها المؤسسات القانونية و السياسية و الاجتماعية قوتها .

و ثاني هذه الأسباب :

يظهر حينما تفقد كل البنى المؤسساتية طابع المرونة، فتظهر هذه البنى في شكل متصلب، تتولد مؤسسات تجعل من أولوياتها علاج أخطاء المؤسسات السابقة عنها.

وبما ان القوة الثانية التي يمتاز بها القانون المتحكم في مجرى احداث البشرية انعكاسا فعليا للقوة الباطنية التي تشكل جوهر المبدأ الذي ينبثق منه هذا القانون، فهذا يعني وجوب تأصيل هذا القانون في أعماق بواعث السلوك الإنساني، الا اننا في عالم اليوم نرى الغياب التام للقانون مع ان الطبيعة البشرية توحى بتأصيل المعيار في الانسان ومعاينته للفطرة السليمة في البشر، وهذا ما أدى بالحضارة الغربية اليوم

¹ بن عطية عطية ، " التيار الروحي و أزمة العالم الحديث "، مذكرة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 2008، 2009، ص11.

بالسقوط المتدرج المستمر نحو الأسفل سيصل به الى حد استنزاف كل الإمكانيات الدنيا التي يتمتع بها هذا العالم في شكلها المادي المتصلب².

وهذا السقوط تولد عنه بالضرورة اضمحلال المبادئ من قلب البشرية وانطماس معالم فطرية، ومع التزايد المستمر للتناقضات بالمؤسسات الغربية، وستحل محل المتطلبات التي كان من المفروض انما تلبسها وهي بذلك عجلت بتعطيل المبادئ الفطرية..، ومن ثمة مهدت لموت الانسان كما شاع في الفلسفة البنيوية، وكذلك موت الاله في فلسفة "نيتشه"، وهذا يدل على الازمة التي اغرقت الانسان الحديث في دوامة صراع عميق مع الطبيعة وبدل الاستعلاء عنها صار الانسان بعضا من مادتها مما ساعد على انتشار فلسفة مادية المعالم³.

وهذه الفلسفة المادية لا ترى من مظاهر التجلي العام للحضارة البشرية سوى هيمنة المظهر الكمي بشتى صورته⁴.

وبهذا أصبحت الفوضى الاجتماعية الازمة في شتى المجالات سواء كانت الفكرية او الفلسفية والاجتماعية والتربوية ودراسات النفس البشرية وحتى في مجال السياسة والاقتصاد والتي يتخبط فيها العالم الحديث الناتج الحتمي لهذه الازمة.

ان هذا التصور الذي صاغه عبد الواحد يحي حول مفهوم الازمة استشرف له ثلاث نتائج جوهرية النتيجة الأولى: هي ان الازمة تتولد دوما داخل مجتمع معين وان الاحداث الخارجية كالحروب والكوارث تؤثر عليه، كما يمكنها في بعض الأحوال النادرة ان تساهم في علاج هذا المجتمع العريض

النتيجة الثانية:

هي ان الازمة تعتبر دوما حكما على واقعة ما، وهذا ما تعنيه كلمة ازمة "كريزيس" باللغة اليونانية والتي تعني التصنيف او التمييز والاختيار⁵ فعبارة مجتمع متأزم توحى بالضرورة الى حقيقة هذا المجتمع

² Réne guenon :la crise du monde modernegérie 1990,p16, édition bouchéne , algérie

³ بن عطية عطية ، التيار الروحي و العالم الحديث ، مرجع سابق ، ص13

⁴ Réne guenon ;les états multiples de l'être ;édition v »ga , paris 3éme édition, 1957,p9

الراهنة، ولا يمكن إخفاء حالة هذه الازمة وراء الأوهام لان كذب النوايا و الادعاءات المعلنة التي يندع بها ارباب التسيير من يسيرونها ستفقد فجأة مقومات دعمها، ولو كان انسان الغرب الحديث اليوم يمتلك بعض النور التقليدي لاستطاع اختراق التناقضات التي تعج الحضارة الغربية ولتمكن من بلوغ الحقيقة المتعلقة.

النتيجة الثالثة:

ومن بين أسبابها الرئيسية الازمة بين المبادئ المستلهمة والقوانين التي تتحرك في نزاعات وصراعات..، فتولد جدلية العاطفة والقانون الوحي والنظام، فالقانون لم يعد يبرز من رحم المبادئ في الوقت الذي أصبحت فيه قوة المبادئ الثابتة والمطلقة تخف وتأخذ فيه ملامح الشفافية التي لا تطرح وراءها غير الخفاء الذي ينفي تماما صفة المبادئ⁶، وهذا في خضم تزايد التعليمات التي بدأت تحل محل القوانين المستمدة من مبادئ الحققة.

ومنه يمكن القول بأن الحداثة المزعومة التي أصبحت احدى المقومات التي يعرف بها الغرب والسمة التي تسيير حضارته قد وصلت بإنسان هذا العالم الحديث الى المنعرج الخطير، أي ان تحولات جذرية على وشك الحدوث وان تغييرا في اتجاه سير الاحداث سوف يقع لا محال سواء كا هذا مصحوبا بكارثة او بدونها⁷.

المطلب الثاني : بوادر الوعي بالأزمة و فضائها عند عبد الواحد يحي

نجد ان الفيلسوف عبد الواحد يحي من خلال كتبه اصدر العديد من الانتقادات الموجهه ضد العالم الغربي 1921 بباريس كتاب مقدمه عامه لدراسه المذاهب و هي السنة التي شهدت انبثاق أحداث ذات تأثير كبير على المسار العالمي و ظهور بوادر الثورة الشيوعية في الصين و انعقاد مؤتمر الشيوعية بباكو الذي تم من خلاله إعلان الخطة عن المد الشيوعي التي تهدف لتوسيع البروليتارية تحت شعار المساواة المطلقة لتشمل كامل الإمبراطوريات الإستعمارية .

⁵Ibid, p09

⁶ René guenon ; autorité aspectuel et pouvoire temporel ,édition vegas,2000,p34

⁷ René guenon ;la crise du monde moderne ,op citt,p 08.

و خلال سنوات 1922-1923 أصدر عبد الواحد يحي كتابه "نيوزوفيزم" و كتابه " ليرور سبيريت" في نقد التيارات شبه الروحية المنحرفة ، و في سنة 1924 أصدر أهم كتبه الشرق و الغرب الذي أعتبر أن أكبر أوجاع العالم الحديث نابعة من جذور العقلانية و النقدية و الثورية ، و دعى فيه الى الرجوع الى الأصول التقليدية الروحية الخفية وراء التعاليم المسيحية الكامنة في التعاليم الهندية و الشرقية على العموم 8.

و في عام 1927 أصدر كتابه المعنون " أزمة العالم الحديث" و الذي قدم من خلاله جملة من 9 الإنتقادات للحضارة الغربية التي تجعل التي جعلت كامل اهتماماته تتمحور حول الفعل دون المعرفة الحقة ، و بالتالي انسقت وراء أوهام التقنية و التصنيع و تغافلت عن المبدأ الروحي المطلق الذي تلاشى تدريجيا منذ بروز الفردانية 10 و العلانية و النزعة التطورية ، فأصبحت ألسنة العقل و العلم و العلامة الفارقة التي تميز العالم الحديث ، مما أدى الى تفشي الفوضى العارمة في شتى مناحي.

و في الوقت الذي أفرزت فيه النكبات التي خلفتها الحرب العالمية الأولى خلخلها في الثقة التي كانت تحظى بها النزعة العالمية و ما تبعها من تفكك في مشروع التقدم البشري و تطور المعارف الإنسانية ، كان قد قدم عبد الواحد يحي هذين الكتابين للعالم الغربي الذي كان قد استسلم لنزعة تشاؤمية حالكة ، خاصة بعد المقاومة الكاثوليكية واتباعات التوماوية على يد ما ريتان ، و كذا ظهور النزعات الفلسفية الجديدة كالشخصانية مع أمانويل هوني و الوجودية مع سارتر و حدسانية مع برغسون التي اتخذت سمات روحية بماهية مادية متخفية .

و في سنة 1929 أصدر كتابا عنوانه السيادة الروحية و السلطة الزمنية تناول فيه جملة من المفاهيم السياسية التي تتعلق بارتباط السيادة بالمطلق و تعلق السلطة بالزمن المتناهي ..، كما حد فيه الجذور السياسية لأزمة العالم الحديث .

⁸ بن عطية عطية، التيار الروحي وأزمة العالم الحديث مرجع سابق ، ص 27 أنظر أيضا:

⁹ Janm.v un musulman inconu ,rené guenan in chiers de la socité augustin , baruel ,1982,p3.

¹⁰ ان انعتاق الفرد أو الفردية هي السمة الأساسية لعصر النهضة كرد فعل القرون الوسطى و التحرر من الانضباط الكاثوليكي ، حيث يتطلع الفرد للتحرر في كل الميادين و تمجيد الغرور الإنساني الذي يمتزج بقوة الإرادة و تمجيد الجسد و الفن ، بو بذلك تحرر الفرد من النزعة الجمعية ، أنظر حسن الكحلاني ، الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر ، ط 1 ، مكتبة مذبولي ، القاهرة ، 2004 ،

و في سنة 1931 أصدر كتاب رمزية الصليب ، تناول فيه جملة المفاهيم الفلسفية و الرموز الدينية التي نجدها مبعثرة في ثنايا التعاليم التقليدية في الشرق و الغرب ،

و في سنة 1945 أصدر كتابا آخر في نقد الفكر الغربي هيمنة الكم و علامات الأزمنة و هو الكتاب المتمم لأزمة العالم الحديث ركز النقد فيه على الطابع المادي التقني للحضارة الغربية .11

و من خلال كل ما سبق يمكن القول أن عبد الواحد يحي يرجع الأصول الحداثية للغرب ببدايات القرن 14 و يحدد لها 3 لحظات تاريخية هي النهضة، الإصلاح و الثورة و هذه اللحظات تشكل مؤشرات القطيعة في الفكر الغربي مع الروح التقليدي الذي يسود مجمل الثقافات ذات الطبيعة الروحية و التقليد حسب عبد الواحد يتمحور حول التصور الميتافيزيقي الشرقي و هذه القطيعة نتج عنها الكثير من الإنحرافات في العالم الغربي.

و هذا ما نجده في الكتب الثلاث التي كتبها عبد الواحد يحي ...الشرق و الغرب 1924 و أزمة العالم الثالث 1927 و هيمنة الكم و علامات الأزمنة 1945.

و من خلال الكتب نجد الفيلسوف عبد الواحد يحي أجرى مقابلة بين الشرق و الغرب و بين العالم الحديث و العالم التقليدي .. و مقابلة بين الكيف و المهاهية و بيم الكم و المادة .

فالشرق في وجهة نظر عبد الواحد يحي يعيش وسط توازن و انسجام المبادئ ، فكل شيء في هذا العالم التقليدي يسير في النظام و على العكس من ذلك نجد الغرب يقبع في فضاء ضبابي مملخل غير منتظم ، و هذا ناتج عن أزمة الكامنة في الجذور السياسية و الفلسفية ، و على الشرق أن يخاف عن مكوناته الاجتماعية ، و السياسية و الفلسفية من القضاء الغربي .12

أما في كتاب أزمة العالم الحديث يجري فيه مقابلة من الماضي التقليدي و بين المادة المضادة لكل روح تقليدية .. ، فالأزمة هي لحظة دورية تجلت في لحظة زمنية معينة ... ، اللحظة التي أخذت فيها النزعات الداخلية تتطور بتناقضاتها ، لذا يقول عبد الواحد يحي أن الصرح لا يمكنه الا ان ينهار تماما كما نهار فيه

بن عطية عطية، التيار الروحي و أزمة العالم الحديث ، مرجع سابق ، ص 129 أنظر أيضا :

11 Janm.v un musulman inconu ,rené guenan op cit,p 17

12 Réne guenon ;la crise du monde moderne ,op citp 42

الكنيسة ، فحركة الابتعاد عن المبدأ تكمن في الاستنزاف المواصل لكل إمكانات الابتعاد بالنظر الى المبدأ..13

هذه هي النظرية التي شرحها عبد الواحد يحيى في كتابه أزمة العالم الحديث و الذي عنونه بالعصر المطلع عصر التناقضات و الصراعات .

أما في كتابه هيمنة الكم و علامات الأزمنة الكتاب الذي فصل فيه ما كان مخططا عاما لنظرية التدرج الدوري و المنظور اليه من خلال الزمان و المكان حيث يجمع بين النظريتين السالفتين ليصل الى وصف عام يميز بين الماهية و الوجود و تحديدا بين الشكل و المادة.

حيث يرى عبد الواحد يحيى أن العلاقة بين الكم و الكي لا تتعلق بجنس أو بنوع و انما بها جميعا و هي تتناول كامل منتجات هذا العالمين و كل الأشكال التي تلبس بها الفعاليات الإنسانية.

أما عن كتابه السيادة الروحية و السلطة الزمنية يتعرض فيه للجذور العميقة التي بدأ عندها التأزم الذي يعصف بالغرب الحديث حيث يشير الى المفاهيم المغلوطة التي قامت عليها الفلسفة السياسية الحديثة والفلسفة الغربية ، حيث يجزم عبد الواحد يحيى علي أن المبدأ الروحي الفطري هو السبب الذي تولدت عنه أوجاع الحضارة و تنامت معه المآسي الانسانية ، فأنسته المبدأ والقانون الذي ذاعت مع انتشار الفردانية و النزعة الإنسانية فصلت الانسان عن حقيقته وجوهره الروحية وراحت تتخذوا من هذا الانسان مجرد مظهر مادي يقاس بمقياس الكم دون مراعات قيمه الجوهر الإنساني.

ففي هذا الكتاب يتخذ عبد الواحد منهج التنفس الأيكولوجي ليظهر كيف انبجست الافكار اللائكية من رحم الصراع بين السيادة الروحية وسلطة الزمنية، وكيف ذاع الخلط بين مفاهيم سياسية كالسيادة والسلطة ومبدأ المساواة المطلقة والديمقراطية في نهاية هذا الكتاب الى اعتبار أن هذه المعالم السياسية للازمه من أكبر النقم على المجتمعات الحديثة وذلك بسبب التناقضات و الصراعات14.

من خلال عبد الواحد يحيى وما ابرزته كتاباته تبين لنا أيضا ان أبرز معالم ازمه العالم الحديث هو اعتبار أن الفلسفة -هذا المصطلح الذي ظهر مع فيثاغورس- " هو محبة الحكمة" وهي بالتالي ليست

¹³ بن عطية عطية ، التيار الوحي و أزمة العالم الحديث،مرجع سابق ،ص32

¹⁴ بن عطية عطية ، التيار الروحي و أزمة العالم الحديث، مرجع سابق ، ص32.33

سوى مرحله أوليه وتمهيديه في السير نحو الحكمة 15 وبالتالي فالانحراف الأول الذي عرفه الغرب هو احلال الفلسفة محل الحكمة وفي هذا تجاهل للصيغة الحقيقية للحكمة....،الحكمة ترتبط أساسا بمبدأ روحي والفلسفة التي ادعت ادعاء بوجود حكمه ما هي الا فلسفة فهي ادعاء بوجود حكمه انسانيه خالص تابعه من نظام عقلا ن خالص حل محل الحكمة الدينية التقليدية التي هي في جوهرها تعبر عن حقيقه فوق عقليه ومن طبيعة غير بشري

ان هذا النزول بالحكمة من المبدأ الاسمي الى الأدنى سيؤدي حتما الى لحظه من الانحطاط العام وهذا تزامنا مع انتشار المسيحية ومرحلة التيه التي عرفها اليهود، وبلوغ حضارة اليونان مراحلها الأخيرة، وهكذا ظهر نمط من الفلسفة هو الفلسفة الدنيوية في المجتمعات كظهور الناس على الارتياحية وبروز الفلسفة الأخلاقية (الرواقية الأبيقورية) مما يعطي انطباعه على ما وصلت اليه الإنسانية من انحطاط، وهذا ما جعل الفكر الهيليني في تلك الفترة يستنجد ببعض المقومات الفكرية ذات الطابع الروحي والذي كانت مستعارة من الحضارات الشرقية، لكن هذا لم يكن كافيا حتى تخرج الحضارة اليونانية من نفس من نفسها من الانحطاط الذي بلغته.

ثم تأتي بعد هذه المرحلة مرحله العصور الوسطى التي تزعمت ثناياها المسيحية وهي المرحلة الممتدة من شرلمان حتى نهاية ف 17 ومنذ هذا التاريخ بدأ السقوط المتواصل، ثم بعد ذلك سقوط المسيحية وتفككه في العصور الوسطى نتج عنه زوال النظام الاقطاعي وظهور ما يعرف بالدول القومية والنتيجة ما يعرف بالنهضة الحديثة، والتي لم تكن في حقيقتها سوى موت للأشياء بدعوى الرجوع لحضارة اليونان والرومان، غير أنهم سجلوا من جديد سقوط عميق، وذلك لأنهم شكلوا قطيعه مع الروح التقليدية من خلال النهضة والاصلاح في مجال العلوم والفنون التي اغتصبتها النهضة، وكذلك في مجال الدين الذي عمل به الاصلاح 16.

وهذا في رأي عبد الواحد شكل نفيًا تامًا لنمط الذهنية الحقيقية التي تعبر عن المبدأ الكلي أو المبدأ الروحي، وانحصرت المعرفة في مجال أقل درجة الذي مثلته الدراسات الحسية التجريبية في تحليل الوقائع الجزئية.. فلقد تميزت المعرفة في هذه الفترة بالثشت والانتشار ضمن تعدد غير محدود من الجزئيات،

¹⁵ Réne guenon ;la crise du monde moderne ,op cit ,p21

¹⁶ Réne guenon ;la crise du monde moderne ; édition bouchéne , algérie ;p24

كما تراكم كم هائل من الفرضيات التي ينقض بعضها بعض وهي فرضيات لا تؤدي الى شيء آخر عن التطبيقات العلمية التي تعتبر الحضارة الغربية بما صاحبه السبق والتفوق الكبير¹⁷، وهذا مما أدى بها الى الاتجاه المادي الصرف.

كما برزت معطيات جديدة ساهمت في بناء المعارف الحديثة كتميم المعارف و العلوم ،و هذا ما دعت اليه العقلانية الديكارتية ...، فديكارت يعتبر أن العقل قسمة بين البشر، فنفي بذلك القدرات الفردية المتفاوتة وراء دعوى المساواة بين البشر.

لكن هذا ما يمكن التسليم به فالقدرات الفردية واحده عند الكل، لكنها تتجلى بصور متفاوتة وفق قدرات كل فرد وهذا ما يجعل التمايز بين الناس¹⁸.

ويرى عبد الواحد يحي أن كل تفكير يخالف هذا يعني أن أفراد النوع البشري متشابهون فيما بينهم ولا يختلفون الا في العدد.¹⁹ ان هذا أدى الى تمازج الطبقات الاجتماعية، وبالتالي أدى الى امتهان السياسة والمعرفة و العلوم .

وكذلك ما يعيب على الحضارة الغربية الحديثة أنها تدعي السبق في اكتشاف اختراعات جديدة كانت الحضارات القديمة قد سبقت اليها كالكشف "أمريكا" اختراع الطباعة التي عرفها الصينيون قبل التاريخ الميلادي، وكذلك بروز النزعة الانسانية التي ظهر بمقتضاها الطابع المادي في كل مناحي المعرفة رغم أن المحدثين يدعون بأن حضارتهم هي امتداد للحضارة اليونانية بالرغم من أن اليونان لم يصلوا الى نقطه أبعد من التي بلغت الحضارة الحديثة، وهذه النزعة أنجز عنها العديد من الكوارث الفكرية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية، وهذا ما يبين أن العالم الغربي قد وصل الى مرحله نهائية وهي الأكثر ظلاميه حيث يقول عبد الواحد أنه في حاله الانحلال التي وصلنا اليها لم يعد الخروج ممكن الا بكارته فمجرد الاصلاح لم يعد كافيا،ولكن لا نحتاج الى تجديد جذري.²⁰

¹⁷ I bid,p25

¹⁹ بن عطية عطية ، التيار الروحي و أزمة العالم الحديث ، مرجع سابق ، ص52

¹⁹ Guénon, le réene de la quantatie et les signés des temps, editions gallimard, paris , 1970,p26

بن عطية عطية ، مرجع سابق ، ص52 أنظر أيض:

والسؤال المطروح هو هل يستطيع الغرب أن ينقذ نفسه من الانحلال والانحطاط القاتل؟ أم يستمر في سقوطه نحو الهوة؟

وبالتالي يمكن القول أن التفوق الذي يشهده الغرب ما هو الا حدث عابر وهذه الأزمة سيمتد أثرها ليشمل العالم بأكمله وكما يقر عبد الواحد أن هذه النهاية للعالم قد يترتب عليها بداية لعالم جديد مثل ذلك من المراحل التي مر بها غيرها من البشر ضمن مسار التطور البشر.

3. المبحث الثاني : الفردانية في الفكر الغربي و تأثير العقل بالعلم الحديث

يمكن اننا الى أن الفيلسوف بد الواحد يحي يتفق مع برتراند راسل في فكرة أن الفلسفة الشرقية هي فلسفة ذات طابع تأملي خالص و ان التراث الفلسفي الغربي يستمد أصوله من الفلسفة اليونانية ، الا أن هذه الأخيرة مزجت بين الفلسفة و التراث العلمي و هو ما جعل الفلسفة الغربية تتسم بسمة فريدة ميزتها عن تأملات العقل الشرقي .

الا أن برغسون ينقذ الفلسفة الغربية في العلاقة بين الروح و الجسد ، يأخذ بتوجهها نحو المادة متناسية الجانب الروحي، وهذا ما نجده أيضا عند عبد الواحد يحي غير أنه يأخذ بعدا عميق في اعتباره أن الفلسفة الشرقية ارتبطت بالمبدأ الثابت ، و هو ما جعل فلسفتها ميتافيزيقية بحتة في حين عند الغرب انفصلت عن هذا المبدأ الأسمى بل أعلنت العدا لكل فترة تتصل بهذا المبدأ الفوق الإنساني ، و جعلت الإنساني ، و جعلت الانسان مبدأها و مطلقها أي الانسان في ثوبه المادي و هذا ما أدى الى انتشار فكرة الفردانية في شتى المجالات سواء كانت سياسية و دينية أو اجتماعية.²¹

و يمكن القول أن النزعة الإنسانية التي نادى بالفردانية مستنبعة من اليونان حيث ظهرت عند

السفسطائيين ، اذ يرى بروتاغورس أن " الانسان مقياس كل شيء فهو يضع الانسان مقابل الآلهة

²⁰ Ibid p26

²¹ و تعود ملامح الفردانية الى المذهب الإنساني الذي تنشأ في بدايات عصر النهضة الغربية على خلاف العصور الوسطى الذي انتشر فيها الاهتمام اللاهوتي ، فقد تحول مفكرو هذا العصر بالاهتمام بالإنسان و من هذا سميت بالنزعة الإنسانية التي اختصرت كل أبعاد إنسانية خالصة ، هذه الأبعاد جردت الانسان من كل مبدأ مشتق من طبيعة اسمي ، أنظر بن عطية عطية التيار الروحي و أزمة

العالم الحديث ، مرجع سابق ، ص 55 أنظر أيضا

من ناحية و الجانب الطبيعي و الفيزيائي من ناحية 22

المطلب الأول : الفردانية من وجهة نظر عبد الواحد يحي

يرى عبد الواحد يحي أن السبب الرئيسي في الانهيار الراهن للغرب تحدده الفردانية بكل ملامحه فهي تعتبر من ألباب العنصر الباعث للتطور وبذلك تنفي الجانب الروحي، فهي تتناهي مع الميتافيزيقيا . 23 ويرى عبد الواحد أن الفكرة لا تكون جديدة الا اذا كانت نتاج الفكر البشري، وتتجلى أبرز ملامح الفردانية فيما يلي:

أولا: نفي الحدس العقلي 24 (l'intuition intellectuelle)

من خلال إحلال العقل la raison فوق كل شيء حيث جعلوا من هذه الملكة النسبية الإنسانية القدرة الأعلى و الأسمى من العقل l'intelligence وكذلك أحيانا اعتبار العقل الخالص مختزل في هذه الملكة الجزئية ، وهذا ما يشكل العقلانية rationalisme التي يعتبر ديكارت المؤسس الحقيقي لها، وهذا التقليص للعقل هو مرحلة مسار النزول.

لقد زعم السفسطائيين بأن العقل قد اغترب في الطبيعة الخارجية و في عالم الألوهية و حاولا إنقاذه برده الى ينبوعه الأصل ، فالفلسفة السفسطائية - نصبت العقل مكان الاله و بهذا يفرض الانسان مكانه و قوانينه ، و بهذا فرض الذات على الموضوع كما استطاعت السيطرة على الطبيعة و جعلتها آلية لمواجهة الألوهية ، و هكذا مجدت الطبيعة ثمظهر مذهب جديد في القرن 17 هو مذهب الآلية الطبيعي .

المذهب الطبيعي الذي يقرر بوجود الاله اعتمادا على آثاره الكونية و يرفض الوحي و النقل ، أنر بن عطية عطية ، التيار الروحي و أزمة العالم الحديث ، مرجع سابق ، ص 57.

22 و عرفت هذه النزعة باللائكية التي جعلت من المجال السياسي منطلق لها ، و بهذا انبثقت الانحطاط في النزول الى أدنى الدرجات و هذا لاتباع الرغبات الإنسانية بشكلها المادي ، أنظر

jean guenan la crise du monde moderne ;cp citp 26

23 الفلاسفة المتحدثون لا يقبلون على الاطلاق اي رابط مع الميتافيزيقيا الحقيقيه وما يقربه هؤلاء السواك فرضيات خياليه او بالاحرى تصورات فردية ترتبط في مجملها بالمجال الفيزيائي، أي أها ترتبط بالطبيعه الماديه للاشياء، وهذا ما أدى بظهورالميتافيزيقيا التي عرضها أرفيليد كما عبر عنها جرد بوجودان في مقال بعنوان العلم والميتافيزيقيا. أظر عطيه بن عطيه التيار الروحي وازمه العالم الحديث، مرجع سابق ص 59 .

24 في الاصطلاح الصوفي يشير الحدس العقلي الى الكشف الإلهي او الالهام، كما هو الحال عند الامام الغزالي والذي يعتبر ملكة فوق إنسانية تتأتى من الاتصال الروحي بالذات الإلهية ، لكنه في الاصطلاح الفلسفي ملكة عليا من ملكات العقل الإنساني والتي تعتبر السبيل الوحيد لإدراك الحقائق الميتافيزيقية.

ثانيا: ظهور الطبيعانية :

تعد الطبيعانية والميتافيزيقيا وجهان لعملة واحدة، ومنذ ان تم التقليل من قيمة الحدس الذهني أصبحت الميتافيزيقيا شيء مستحيل في حين حاول البعض بناء شبه ميتافيزيقيا مثل كإنط في حين البعض الآخر يعترف تماما بعدم إمكانية قيام أي شكل من الميتافيزيقيا ، كما هو الحال مع الوضعية المنطقية ، ومنذ ان أصبحت النسبية في تزايد relativisme سواء مع الفلسفة الكانطية le criticisme او مع الوضعية le positivisme التي انتشرت مع اوغست كونت (1857-1897) ومن هنا يرى عبد الواحد ان العقل نسبي لا يمكنه ان ينطبق الا في مجال نسبي، وعليه فان النسبية هي المحطة النهائية التي ستصل اليها العقلانية بالضرورة وهذه الأخيرة ستصل الى تفويض²⁵ .

ثالثا: الطبعانية والتطور :

الطبعانية والتطور هما لفظان مترادفان ، فهي موجودة في فلسفة جون باتست لامارك

Charles (1882-1809) و تشارلز داروين (1829-1844) Jean baptiste lumark

Robert Darwin

وفي فلسفة هربرت سبنسر herbert spencer (1882-1820) وهي التي تتقلب على العقلانية

حيث تعتبر ان العقل لا يطبق على ما هو في تغير مستمر

وتعدد خالص كما انها لا تستطيع ان تحيط ضمن مفاهيم التعقيد اللامحدود للأشياء الحسية التي يتكون منها العالم المادي.

رابعا: في المجال السياسي والاجتماعي:

أدى الالتماس القائم في مفهومي التأمل والفعل الى الالتباس بين مفهوم السيادة والسلطة، فنتج تداخل

في المجال السياسي والاجتماعي وتداخلت المهام القيادية والادراكية والاجتماعية بدعوى المساواة التامة

بين البشر التي تلغى كل اشكال الخصوصية مما أدى الى حالة من الفوضى والانظام.

المطلب الثاني: العقل وتأثره بالعلم الحديث

²⁵ بن عطية عطية، التيار الروحي وأزمة العلم الحديث مرجع سابق ص 60

من بين أكبر الأوهام التي عرفتتها الحضارة الحديثة، وهي المتعلقة بالعقل و العلم التي تبدو في ظاهرها مبنية على أسس موضوعية غير عاطفية، ولكن العقلانية في بعض الأحيان لا تكون الا عاطفة متنكرة حيث يرى "عبد الواحد" ان هذا يبدو جلي في صورة الحقد الذي يظهر ضد كل ما يخالف توجهاتهم ويتجاوز قدراتهم على الفهم ، فالعقلانية هي تقليص للعقل²⁶ وهي تتجه في نفس اتجاه العلم الحديث . كما انه يمكن القول ان هناك بعض النزاع بين النظريتين، غير ان هذا النزاع لا يلغي تضامن العقلانية والنزعة العلمية²⁷

يشير عبد الواحد في معرض نقده للعلم الحديث الى المقارنة بين المعرفة المقدسة التقليدية والمعرفة العلمية الحديثة حيث يصف هذه الأخيرة بالتشتت والضياع ، وهذا ما لا يؤمن للإنسان الرؤية الواضحة، هذه المعرفة كما يصفها عبد الواحد "هي معرفة جاهلة".²⁸

حيث يؤكد ان العلم الحديث معرفة جاهلة بالجوهرية، فهو لا يستمد جوهريته من المبادئ، فهو مجرد دراسة تجريبية للعالم الحسي . كما يضيف مؤكدا انه يوجد تقارب بين الدين والعلم، حيث يرى انه ما لا يقبل المعرفة فكرة تقوم عليها العلوم التقليدية في مصدره الديني او الميتافيزيق ان نفي وجود مثل هذا المجال يجعل من العلم الحديث عجزا او إعاقة فكرية، فيرى عبد الواحد انه لم يريدوا ولم يقبلوا ان يكونوا مجرد شكاك، نظرهم لا تعرف المنطقية ، فهم المؤمنون الأكثر حماسة و الأكثر فتونا بالعقل²⁹ كما يستعجب من وضع العقل فوق كل شيء والاتيان بطقوس تجعله اقرب الى الدين وفي الوقت نفسه يعتبرونه محدود المجال، وهذا هو التناقص في حد ذاته.

ففي وجهة نظر التيار الروحي وخاصة عبد الواحد ان ما يجعله هؤلاء لا يمكن أن يعد كل العقل، بل هو فقط مجرد قسم او جزء من أجزاء العقل الكلي ، هذا العقل الذي يحتوي على إمكانيات تتجاوز كثيرا

²⁶ René Guénon la crise du monde moderne op cit, p43

²⁷ ففي القرن 18 ظهرت الخصوصيات بين العقلانية مع الموضوعيين والنزعة العاطفية في فلسفة جان جاك روسو(1712-1778) ومع ذلك كلاهما ساهم في توفير المناخ المناسب لظهور حركة الثورية التي اعادت كام اهو تقليدي، بن عطية عطية ، التيار الروحي وأزمة العلم الحديث مرجع سابق، ص62

²⁸ René Guénon la crise du monde moderne op cit, p63

²⁹ عطية بن عطية، التيار الروحي وأزمة العلم الحديث مرجع سابق، ص64

تلك التي يسمونها تجاوزا العقل على حد زعمهم. وما يعيبه عبد الواحد على انصار النزعة العلمية رفضهم إمكانية غيرهم، أي القدرة في الوصول الى ما تصل اليه البحوث التجريبية.

ومن بين الادعاءات الخاطئة التي تميز المعرفة العلمية الحديثة، طموحها الى تقليص كل المعارف في صورة كمية عددية، فهي ترفض كل ما لا يخضع لمقولة الكم، فهي على حد قولهم لا يمكن وصفها بالمنهج العلمي. فالعلماء اليوم يرفضون ما ينتمي الى نظام غير النظام الحسي ويحتجوا ضد النظام الثابت³⁰.

كما يمكن القول أن تميز العلم وفق مقولة الكم يستلزم التوجه نحو تعميم فكرة التشابه بين الحوادث، خاصة في مجال الظواهر و الدراسات الطبيعية .

الا ان عبد الواحد يثبت استحالة وجود نفس الأسباب ولا نفس التأثيرات في نظام تتابع تجليات الظواهر.³¹ ويرجع فكرة تكرار الحوادث الى مجرد تشابه قائم بين الحقب وبعض الاحداث، سواء في مجال الظواهر الطبيعية او الحوادث الإنسانية، فتشابه الأسباب يحدث اثارا متشابهة كذلك ومع هذا فانه يوجد على الدوام وبالضرورة نوع من الاختلاف بين الاحداث، ذلك لأننا دوما اما سببين متميزين لا امام شيء واحد، وهذه النظرة ساهمت في وهم بناء علم دقيق يشبع الرغبة في التبسيط الذي انطعت به الذهنية الحديثة تماما وهو ما ساهم في مسار السقوط والتدني.

ان هذه النزعة التجريبية التي تسود العلم الحديث تدم عن قصورها، فهي تتجاهل مقولة الكيف.

لكن التجربة الحسية مثلها مثل أي تجربة أخرى لا يمكنها ان تقوم على مقولة الكم، لأنها كلما اقتربت من الكم كلما ابتعدت عن الحقيقة التي يزعم العلم التجريبي اثباتها او تفسيرها³².

وما يعاب على العلم الحديث هو تعميم المعرفة وهذا يعني تقليصها وتشويهها لأنه يستحيل التسليم ان كل البشر متساوون في فهم شيء معين، فهذه ليست تعليم مجرد قابل للتمدد ولكنها مسألة افق ذهني، ان هذا الوهم يجر الى نفي كل تراتبيه طبيعية، وهذا يصل الى بنا الى النزول بالمعرفة الى مستوى الادراك

المحدود للعامه وهو ما ينتج عنه رفض حول ما يتجاوز معطيات الفهم العام.³³

³⁰ عطية بن عطية، التيار الروحي وأزمة العلم الحديث المرجع نفسه، ص64

³¹ René Guénon, le rénge de la guantatie et les signés des temps, editions gallimard, paris 1970, p97..

³² Ibid,p100.

4. الخاتمة:

و في ختام ما تطرقنا اليه يمكن القول أن عبد الواحد حيث طرق الى تحديد أسباب الأزمة الغربية في سبعين رئيسيين و هما الأول يظهر حينما تفقد المبادئ و القيم التي تأخذ منها المؤسسات القانونية و السياسية و الاجتماعية قوتها .

و الثاني حينما تفقد كل البنى السياسية طابع المرونة فتظهر هذه البنى في شكل متصلب و تتولد مؤسسات تجعل أولوياتها علاج أخطاء المؤسسات السابقة عنها ، حيث امتياز القانون بالقوة الثانية و تحكمه في مجرى أحداث البشرية يؤدي الى ظهور انعكاسات للقوة الباطنية التي تشكل جوهر المبدأ الذي ينبثق منه هذا القانون.

وبالتالي يمكن القول أن التفوق الذي يشهده الغرب ما هو الا حدث عابر وهذه الأزمة سيمتد أثرها ليشمل العالم بأكمله وكما يقر عبد الواحد أن هذه النهاية للعالم قد يترتب عليها بداية لعالم جديد مثل ذلك من المراحل التي مر بها غيرها من البشر ضمن مسار التطور البشر.

حيث نتج عن النهضة الغربية التي تمثلت في بروز الإنسانية قلب المفاهيم والتطورات التي قامت عليها الفلسفيات الكبرى وبالتالي الفردانية بشتى تصوراتها والتي أعلنت العداء ما هو جوهر فوق انساني وبالتالي رفض كل يمت بصلة للتقليد.

و عليه نرى أن عبد الواحد يجي حدد معالم الأزمة الغربية الحديثة في أسباب كثيرة أبرزها الصراع الذي اختتم بين السلطة الزمنية بأبعادها الإنسانية و السيادة الروحية بأبعادها الفوق إنسانية.

5. قائمة المراجع:

- 1- بن عطية عطية -التيار الروحي و أزمة العلم الحديث-مذكرة ماجستير -جامعة البليدة 2008-2009.
- 2- René Guénon- le règne de la guantatie et les signés des tems- éditions guallimard-paris-1970.
- 3-jean m. v-un musulman inconnu- René Guénon in cahiers de la société augustin barruel- 1982 .